جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
مركز البحوث والدراسات الإسلامية

سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(١٨١)

المدرسة النظامية

الدكتور
عامر حميد حمود السامرائي

١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

الطبعة الأولى

الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

برقم ٩٤١

لسنة ٢٠١٢

جميع مطبوعات المركز محكمة علميا

الآراء التي في هذا هذا الموضوع

تعبر عن رأي كاتبها

٦،٢١٠

س٢٥٢

السامرائي، عامر حميد حمود

المدرسة النظامية..بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠١٢

٢٤٦ص. ٢٥سم. (سلسلة الدراسات المعاصرة، ١٨١)

١. الإسلام-مدارس أ. العنوان ب. السلسلة

العراق – بغداد – سبع ابكار – ديوان الوقف السني

E.mail: mabdaw_1@yahoo.com

صندوق البريد – ٥٣٠٠٨ باب المعظم

حقوق الطبع محفوظة للمركز

الإهـــــداء

إلى اللّذيْن ربياني صغيراً...، والديّ الكريمْين.

والى منْ له حقٌ عليَّ... أساتذةً وشيوخاً،

وأصحاباً... وغيرهم.

وإلى منْ كانتْ لي عوْناً وظهيراً في

حياتي...زوجتي الصابرة الوفية...

أُهدي لهم هذا الجهد المبارك

المؤلف

الدكتور عامر حميد

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان اختيار موضوع البحث يشكل مرحلة مهمة من مراحل البحث، ومن هذا المنطلق جاء اختيار المدرسة النظامية موضوعة البحث، لما مثلته من دور ريادي في الحركة العلمية في العالم الإسلامي. حيث اتسعت الحضارة العربية الإسلامية لميادين متعددة متنوعة من سياسية وإداري وعمرانية، الا أنها انعكست بصورة خاصة على ميدان واسع هو الميدان الثقافي. ولما كان من الصعب الإلمام بجميع هذه الميادين جاء بحثنا مقصوراً على الميدان الثقافي والعمراني. وهو الرصيد العربي الإسلامي الذي بلغ أوجه في العصور العباسية وشع نوره الى اصقاع الارض.

لقد كانت المدرسة النظامية موئلاً للعلماء والأدباء ومحط أنظار طلاب العلم في جميع انحاء العالم الاسلامي، وقد أدت هذه المدرسة رسالتها الثقافية والعلمية خير أداء. وكان لها الأثر الكبير في توسيع العلاقات الثقافية بين مختلف الأقطار الإسلامية. وقد شعت أنوار المدرسة الثقافية بعلومها المختلفة على العالم الغربي حيث أخذت جامعات أوربا فيما بعد الكثير من هذه المدرسة.

والذي شجعني على طرق هذا البحث أني وجدت ما كتب فيه لم يكن أكثر من بحوث مشتتة في المجلات، سوى كتاب احتوى في مضمونه أخبار المدرسة ونظامها ولكن باللغة الفرنسية. فوجدت مكتباتنا

بحاجة الى كتاب يحكي تاريخ هذا المعهد العلمي الذي عده المؤرخون أول جامعة في العالم الإسلامي بما حوته من أنظمة وتقاليد علمية.

كما أن اندراس أثر المدرسة شجعني اكثر للبحث فيها واستقاء أثرها وإبراز ثقافتها لأنقل أخبارها إلى المهتمين بتراثنا العربي الإسلامي فبحق تعتبر النظامية من معالم بغداد ومفاخرها الثقافية في العصر العباسي.

ودراستي قد اشتملت على أربعة فصول كالآتي:

الفصل الاول: وقد تناول دور العلم في العالم الإسلامي قبل النظامية حيث ابتدأ بالمسجد ودوره في التعليم والعلوم التي كانت تدرس في الحلقات التي تعقد فيه، مروراً بالكتاتيب التي مثلت المراحل الابتدائية للدراسة في العالم العربي الإسلامي. وحلقات ومجالس المناظرة التي كانت تعقد بحضور الخلفاء وشاركوا فيها احياناً حيث يحضلرها العلماء البارزون في العالم الإسلامي ثم دور العلم التي شملت المكتبات ودار الحكمة التي تعتبر من مراكز التعليم المهمة في الدولة العربية الإسلامية، ثم المدرسة وظهورها ودورها في التعليم.

وتخصص **الفصل الثاني** بالمدرسة النظامية من حيث تسميها وتأسيسها وتحديد موقعها الذي يعتبر أهم نقطة في هذا الفصل. ثم افتتاحها وإعطاء وصف كامل لأقسام المدرسة ثم التعرف على نظامها التدريسي ومكتبتها الغنية بالمؤلفات النادرة.

والفصل الثالث تطرقنا فيه إلى علمائها الأعلام الذين ألقوا الدروس على شدتها والمعيدين الذين الذين كانوا يشكلون معين العلماء المدرسين ثم فقهائها الذين حضروا فيها للتزود بثقافتها من مختلف الأقطار الإسلامية ومنهم من ارتقى المناصب العليا في الدولة العربية الإسلامية. ثم الوعاظ الكبار الذين كانوا يجلسون للوعظ فيها ثم من سكنها من حملة الشريعة الإسلامية.

والفصل الرابع هو التطرق الى أثر المدرسة الثقافي ودورها في رفد الثقافة العربية الإسلامية بالعلماء والمفكرين والسخصيات البارزة فيما بعد بالدولة العربية الإسلامية، وتضمن كذلك دور المدرسة في التأثير بالغزاة التتار وإدخالهم في رحبة الإسلام بالتعاون مع زميلتها المدرسة المستنصرية والمدارس البغدادية الأخرى.

مامن شك ان كل بحث ينشد منه الفائدة العلمية يقتضي أن يعتمد في خطته على عدد من والمراجع المختلفة. وقد زودت كتابي هذا بمعلومات من عدد كثير من هذه الموارد التاريخية وغير التاريخية نخص بالذكر منها:

كتب الحديث: ومنها صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) وكتاب السنن لابن ماجة (ت٢٧٥هـ) وسنن الترميذي (ت٢٧٩هـ) الذي أفادت الكتاب من خلال عرض أحاديث الرسول ﷺ والصحابة ﷺ في التعليم وأهميته وبيان مراكز التعليم الأولى في الدولة العربية الإسلامية.

وكتب الطبقات: منها طبقات الشافعية للأسنوي (ت٧٧٢هـ) وطبقات الشافعية للسبكي (ت ٧٨١هـ) حيث قدمت لنا معلومات وافية عن العلماء والفقهاء الذين درسوا ودرسوا في المدرسة النظامية.

ومن كتب التراجم: كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) الذي زودنا بأخبار كبيرة عن بغداد وفقهائها وطلبة العلم فيها وعن مجالس الخلفاء العلمية وأخبار العلماء المسلمين الذين زاروا بغداد وجلسوا في مساجدها للوعظ والتدريس. وكتاب المنتظم لابن الجوزى (ت٥٩٧هـ) الذي وافانا بأخبار وافية عن المدرسة النظامية لكونه معاصراً لها وجلس هو للوعظ فيها بالرغم من تمذهبهي بغير المذهب الذي بنيت لأجله. وكتاب المختصر المحتاج إليه لابن الدبيثي (ت ٦٣٧هـ) والذي سرد فيه أخبار العلماء ومؤلفاتهم.

اما **كتاب وفيات الأعيان** لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) فهو يعد من المصادر المهمة في كتابنا هذا إذ نقل لنا أخبار الخلفاء والوزراء واهتمامهم بالعلم ونقل أخبار العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب ممن خدموا ودرسوا في المدرسة النمظامية، ونقل أخبار رحلاتهم العلمية ونشرهم للثقافة العربية الإسلامية.

ومن كتب الحوليات **كتاب الكامل** في التاريخ لابن الأثير (ت٦٣٠هـ) وكتاب البداية والنهاية لابن كثير (ت٧٧٤هـ) إذ رفدته بحوادث مهمة عن العالم الإسلامي ومجالس الخلفاء والوزراء.

ومن **كتب المعاجم الجغرافية** كتاب البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) إذ كان معيناً كبيراً في تحديد المواقع الجغرافية المهمة التي وردت في الكتاب وكذلك تراجم لشخصيات مهمة من العلماء العرب المسلمين.

ومن **كتب التربية والتعليم** كتاب آداب المعلمين لابن سحنون (ت٢٦٥هـ) الذي بين فيه الكثير من المعلومات المهمة عن التعليم ودور المعلمين.

ومن **كتب الأدب كتاب الأغاني** لأبي الفرج الاصبهاني (ت٣٥٦هـ) وكتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي وكتاب نزهة الألباء لابن الأنباري (ت٥٥٧هـ) الذي قدمت فيه مادة مهمة عن النحويين واللغويين وعن مؤلفاتهم والذين درسوا منهم بالمدرسة النظامية ببغداد.

وبقدر الفائدة المتوخاة من المصادر القديمة فقد كانت الفائدة من المراجع الحديثة التي كانت هي الأخرى عوناً كبيراً لنا في تعزيز المادة العلمية لنصوص الكتاب منها كتاب تاريخ مساجد بغداد للسيد محمود شكري الآلوسي إذ قدم المعلومات الكثيرة عن المدرسة النظامية وموقعها وأعطى وصفاً لها ودورها في تعزيز الثقافة العربية الاسلامية. وكتاب تاريخ الجامعات الاسلامية لمحمد غنيمة الذي تضمن معلومات قيمة عن الجامعات الإسلامية وتاريخ تأسيسها ونظمها وتأثر الحضارة الغربية بهذا الجانب العربي الثقافي. وكان لكتاب نشأة المدارس المستقلة في الإسلام وكتاب علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي وكتاب

علماء المستنصرية لناجي معروف الذي قدم فيهم مادة غنية وكبيرة عن النظامية وموقعها وأبرز علماؤها وفقهائها وممن تولى إدارتها وممن جلس فيها للوعظ، وتأثير تلك المدرسة بالمدارس التي نشأت فيما بعد.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت فيما استهدفته من بحثي هذا وهو رفد المكتبة العربية بمعلومات عن رمز من رموز الحضارة العربية الإسلامية ورمز من رموز تراثنا العربي العراقي. على أنني لا أنسب إلى نفسي ما كتبت فما انا الا جامع لمعلومات مشتتة هنا وهناك وعسى ان أكون قد وفقني الله في ذلك. ومن الله التوفيق.

الفصل الأول

دَورْ العلم في العالم الإسلامي قبل النظامية

لقد مثل التعليم ركناً اساسياً لمستلزمات الدعوة الإسلامية لتحقيق التربية الصحيحة التي تستهدفها الدعوة الإسلامية وتشجيع المسلمين وحثهم على التعليم واعتبر وعد القرآن الكريم التعليم من سُنن النبي محمد ﷺ وعمله، إذ يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1].

ووردت آيات تدعو للعلم والتعلم. قال الله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2].﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وقد أُثر عن النبي محمد ﷺ . قال: " وليُفشوا العلمَ وليجلِسوا حتى يَعلّم من لا يَعْلَمُ فان العِلْمَ لا يَهلك حتى يكون سراً "[4].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء"[5].

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٩.

(٢) سورة طه: آية ١١٤.

(٣) سورة الزمر: آية ٩.

(٤) البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري (كتاب العلم) طبعة مصر جـ١، ص٣٣.

(٥) البخاري، المصدر السابق، جـ١، ص٣٣.

انطلاقاً من توجيه الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم ﷺ اهتم العرب المسلمون بالعلم وتوسعت أماكنه ابتداءً من المسجد وانتهاءً بظهور المعاهد العلمية.

اولاً- المسجد:

لقد احتل المسجد مكانة متميزة في حياة المسلمين لصلته الوثيقة بالعقيدة الإسلامية، فلم يكن للعبادة وحدها بل كان تؤدي فيه أعمال مختلفة زيادة على مهماته الدينية، اتخذ مكاناً للقضاء وساحة لجمع واستقبال السفراء(١).

فمنذ صدر الإسلام اتخذ الرسول ﷺ، المسجد مكاناً للدراسة ففي البخاري، عن أبي واقد الليثي قال: "بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان الى رسول الله ﷺ، فوقفا على رسول الله. فرأى أحدهما فرجه في الحلقة فجلس، وجلس الآخر خلفهم"(٢).

وفي المسجد بدأت أولى مراحل التعليم في الدولة العربية الإسلامية، إذ كان المسلمون يتعلمون آيات القرآن الكريم بعد نزولها على النبي ﷺ، كما اتخذ مأوى للفقراء من المهاجرين في المدينة.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، جـ٥، ص٢١٣.المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ج١، ص١١٩.

(٢) البخاري، المصدر السابق، جـ١، ص٢٤.

وفي الرواية "أن أهل الصفة من فقراء المهاجرين كانوا نحو أربعمائة ليس لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة لازموا المسجد وأقاموا به يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل غزوة" [1].

وقد مثل عدد من المساجد دور المدرسة في صدر الإسلام، مثل مسجد الرسول ﷺ في المدينة ومسجد البصرة ومسجد الكوفة ومسجد عمرو في مصر وغيرها من مساجد العالم الإسلامي بعد انتشار الدين الإسلامي.

وبناءاً على ما سبق فان التعليم قد نشأ بشأة الإسلام[2]. وتؤكد لنا المصادر أن جماعة من الصحابة كانوا يعلمون في مسجد قباء في عهد الرسول ﷺ .

ولم يقتصر دور المسجد على فهم العقيدة الإسلامية واستيعابها ونشرها وإنما تعداه الى نشر اللغة العربية وأصوله، فكان مسجد النبي محمد ﷺ يشكل مركزاً لحركة علمية كبيرة في المدينة. فيذكر ابن خلكان " أن ابا عثمان ربيعة (المشهور بربيعة الرأي) كان يجلس في

---

(١) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، المطبعة البهية- مصر ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م، جـ٧، ص٨٤.

(٢) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، طبعة مصر، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م، جـ٢، ص١٤٣.

مسجد الرسول بالمدينة، وكان يأتيه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة للأخذ عنه وكانت له فيه حلقة وافرة "[1].

وبعد حروب التحرير ازدادت أهمية المسجد مما دعا إلى أن يبني في كل مصر مسجد يذكره البلاذري: " أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أرسل إلى أبي موسى الأشعري والي البصرة بكتاب يأمره فيه أن يتخذ مسجداً للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فاذا كان يوم الجمعة انظموا إلى مسجد الجماعة. وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك"[2].

فكان مسجد البصرة مركزاً علمياً كبيراً في العهد الأموي، فحولَ الحسن البصري وفي حلقته نشأت المباحث الكلامية، واعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن وكون له حلقة وبدأت منه فرقة المعتزلة فكرها[3].

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ) إحياء علوم الدين، مطبعة دار المعرفة، بيروت، جـ١، ص٧.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر (ت ٢٧٩هـ) فتوح البلدان، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٢٧٤-٢٧٥؛ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢ هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق جمال الدين الشيال وعبد المنعم عامر، مطبعة إحياء دار الكتب العربية – القاهرة ١٩٦٠- ص١١٨؛ الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط-مصر ، ١٩٦١م، جـ٤، ص٤٤.

(٣) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ) الملل والنحل، تحقيق محمد فتح الله، مطبعة الأزهر، القاهرة، جـ١، ص٦٤؛ ابن المرتضى=

ونفهم من ذلك أن للمسجد الفضل في تطور العلوم ولا سيما علوم العربية كعلم الكلام لكثرة النقاش في الأمور الدينية.

ولقد سمي الدرس الذي يعطى في المسجد "حلقة"، لان الطلاب كانوا "يتحلقون" أي ينتظمون في شبه عقد او حلقة حول شيخهم لتلقي الدرس(١).

لقد أدى اختلاط العرب مع العناصر التي دخلت الإسلام من غير العرب بعد الفتوح إلى تعرض اللغة العربية السليمة للوثة العجمة مما دعا علماء العربية إلى الاهتمام بالدراسات اللغوية، إذ توسعت حلقات التعليم في المساجد وظهرت حلقات لعلوم العربية وأصولها. قال ياقوت: " كان حماد بن سلمة بن دينار يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم" (٢).

=أحمد بن يحيي (ت٨٤٠هـ) طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد، المطبعة الكاثوليكية- بيروت ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

(١) فكري، مساجد القاهرة، ومدارسها، جـ٢، ص١٤٤.

(٢) ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) معجم الأدباء، ط٢ أكسفورد ١٩٢٢، جـ١٠، ص٢٥٥.

وذُكرَ أن العصر العباسي الأول وضعت فيه اللغة العربية أسس كل العلوم تقريباً إذ وضع تفسير القرآن، وجمع الحديث ووضعت علومه، ووضع علم النحو والعروض وغير ذلك من علوم العربية [١].

ذكر ياقوت عن الأخفش قال: "وردت بغداد فرايت مسجد "الكسائي"[٢] فصليت خلفه الغداة فلما انفتل من صلاته وقعد بين يديه الفراء، والأحمر وأبن سعد وسألته عن مئة مسألة، فأجاب بجوابات خطأته في جميعها"[٣].

كذلك كان المسجد محلاً لإنشاد الشعر، يقول المزرباني: "مسلم بن الوليد الأنصاري كان يملي شعره في المسجد، وأن الناس كانوا يتناظرون في الشعر في المسجد" [٤].

---

(١) امين، أحمد، ضحى الإسلام، ط٧، مصر، ١٩٦٤م، جـ٢، ص١٣.

(٢) الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي المعروف بالكسائي أحد القراء السبع كان إماماً في النحو واللغة والقرآن، والأدب، الامين والمأمون، رسالة ترجمة أحوال بعض العلماء، مخطوط مركز صدام تحت رقم ٣٢٦٩٧، ص٣٠. المؤلف مجهول.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٤ ص٧٧.

(٤) المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ) الموشح، ط٢، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٣هـ-١٩٢٤م، ص٢٨٩؛ أمين أحمد، ضحى الاسلام، جـ٢ص٥٣.